

فلسفة الفنون الإسلامية

الدكتور عبد الغنى النبوى الشال
الاستاذ بقسم التربية الفنية بكلية التربية بجامعة الرياض

استمرت الفنون الإسلامية لفترات طويلة تهاجم على أنها فنون ينقصها الحس الفنى ، والتعبير عن الطبيعة بصسـلق وأمانة، وعلى أنها تتسم بعدم ادراكها لمقاييس الظل والنور وقوانين المنظور وأصول التشريح وغيرها من الاسس والقواعد التى خضع لها الفكر الاوربى فى موازينه ومقاييسه للاعمال الفنية .

وقد نسى هؤلاء المهاجمون أن للفنون الإسلامية طريقها المميز الفريد الخاص بها . ومعاييرها التى ابتدعها الفنانون المسلمون لانفسهم ، والتى تنبثق عن كيان المجتمع وعقيدته وروحانيته . فتواجه الشكل الفنى والمضمون معا بمقاييسها الخاصة الفريدة .

ولحسن الحظ عندما نضج الوعي تكشفت الحقيقة امام بعض المؤرخين والفلاسفة والنقاد وغيرهم عند مناقشة هذه الفنون وفلسفتها بموضوعية سليمة لوضعها في مكانها السليم بين الحضارات الفنية المختلفة، نذكر منهم (روجيه جارودي) الذى قال : (١) (أن هناك اسطورة خاطئة وفكرة قاصرة تحاول أن تحيل الفن الاسلامى الى مجرد حرفه وصنعة زخرفية ، بحيث تحصره في الفنون الصغرى والعرف اليدوية ، ثم قال ، ولكننا نؤكد بشدة أن هذا الفن المريق كان يعبر عن تصور للعالم ، وأن هذا التصور يحكم في أن واحد أهداف ذلك الفن وموضوعاته ولفته التشكيلية ، واساليبه الفنية . وأن الفتح العربى كان ضروريا للعالم لظروف لازمة له وليقظة الحضارة وتجديد شباب العالم ، حيث لم يتخذ هذا النتج ضابغ الفزرو والفارات الجماعية الهدامة مثل غارات التتار والمغول وما تم على أيديهم من دمار وخراب ، بينما كانت الفتوحات الاسلامية تتسم بالسلمية فسى جوهرها وهدفها ، حيث تمت بواسطة أعداد بسيطة دخلت بلادا شاسعة مصرية ، ومغربية ، وأندلسية ، وفارسية وغيرها ، وحصلت على تأييد مفاجيء لما تحمله الفلسفة من أصالة وقيم ، وحيث التحتت بالحضارات المحلية وكونت لنفسها طرازها الفنى واسلوبها المبتكر الجديد الذى يعبر عن ذاتيتها ومثالياتها وفلسفتها) ثم أنهى الفيلسوف حديثه وقال : (أن تلك الحضارة ازدهرت في مجال الفن وأثرته ، حيث تصدى الفنان المسلم للعالم المادى والروحي على السواء ، بأسلوبه المميز وطريقته الفريدة ، ولم تكن وظيفة الفن الاسلامى نقل المراثيات فقط بل أظهر الجوهر وما هو غير مرئى وصعب البيان كذلك) .

وقال مؤرخ آخر هو (ديماند) (١) وهو من أبرز من كتبوا عن الفن الاسلامى ، (ان الاحتكاك الحضارى وظاهرة الانتباس الفنى ظاهرة لا ينفرد بها الفن الاسلامى وحده ، فهي ظاهرة عالمية وسنة الطبيعة البشرية ، وهي صفة حيوية تعزز الابتكار ، ولقد قامت شخصية هذه الحضارة الاسلاميه على حيوية هذا الفن - وقدرته الفائقة على الابتكار ، كما شملت جميع انواع الفنون) .

من هنا نرى في الجوامع الاسلامية طرازا فنيا مبتكرا يودى وظيفته الاصلية ، كما يودى العنصر الجمالى الذى يشتااق اليه الانسان في حب الجمال وتدووقه وتقديره ، فبناء المسجد يختلف عن بناء الكنيسة والمعبد الوثنى ، والمئذنة في المسجد تختلف معماریا وهندسيا وجماليا عن أبراج الكنائس ، والقباب في المساجد لها رقبة - وترتفع القبة الى اعلى - وهذه رمزية في الفن الاسلامى تشير الى التسامى والسمود ، بينما نرى القبة في العماثر المسيحية ليس لها رقبة ، وتتجه بكتلنها الى أسفل . وكذلك نرى رمزية أخرى في المئذنة الاسلامية حيث تتجه في شكلها الى اعلى والى اللامحدود . وتبدأ اجزاؤها

(١) روجيه جارودي فيلسوف ديسى دار مصر عام ١٩٦٩ ، والقى عدة محاضرات عن الحضارة العربية واثرها على التقاليد العالمية .

(١) م - من - ديماند - الفنون الاسلامية : تصدير الكتاب - احمد فكرى ، ترجمة احمد محمد عيسى دار المعارف ، ١٩٥٤ م .

المعمارية وتنظيماتها البنائية في العصر تدريجيا كلما ارتفعت عن الارض، وذلك لتعطي احساس البعد وهذا خداع بصري لمسه المهندس الفنان الذي صمم هذا الشكل الفني ، واننا لنجد في الترسيمات والتطبيقات الزخرفية بالغمات والالوان ، سواء كانت على جدران أو سقوف أو على المناير أو في أرضيات الجامع أو المسجد، أو في شرفات المسجد العليا هذا النسق المتردد الذي يعدد البناء ويربط ربطا جماليا بين الارض والسماء . ومن غير هذه الشرفات التي تتراقص بهجة وسعادة يصبح المسجد سجنا . وحيانا تسمى في الاصطلاحات المعمارية (عرائس الجامع) لما فيها من نغم حالم راقص مقدس . وكما أن تلك الايات القرآنية ذات النغم المتعدد الاسلوب والصياغة التي تملأ المكان لتشارك كلها في ربط الفن المجتمع من طريق غير مباشر جذاب .

ولقد ذكر الاستاذ حامد سعيد (١) في احدي محاضراته بقصر المناسترلى وفي جامع السلطان حسن بالقاهرة أن الكتابة الاسلامية فيها الموسيقى والرصانة والرقص والتفريغ وان في وجودها على الساحة وفي المنطقة العربية كلها لدليلا على طريق الوحدة العربية الشاملة . . . وكل هذه الزخارف المنتشرة في المكان تردد نغما موسيقيا حالما شاعرا روحيا قدسيا بقدرة الله وتشير الى الفنانين الذين صاغوها وكانهم كانوا يؤدون عبادة عند صياغتهم لهذا الايقاع التجريدي الاخاذ ، وفي أذهانهم الاخلاص في العمل والدقة المتناهية في كمال الاخراج في العمل الفني على أحسن حال واكمله ونتيجة لذلك يندمج المابدون بأرواحهم في هذا المناخ الروحي القدسي الشاعري الاخاذ فتسمو نفوسهم وأرواحهم ، وقد ذكر (برستد) (١) ان العمل الفني العظيم هو الذي يعمل على تنظيم حالة الانسان ويقصد هنا الصحة النفسية ، التي تحدث الاتزان الروحي والمادي على السواء .

ان الهندسة التجريدية هي احدي دعائم هذا الفن العظيم ، ولقد اقتبس اعلام عصر النهضة في ايطاليا وفنانوه من هذه الاشكال الهندسية والكتابات العربية في كثير من أعمالهم ، على الرغم من أنهم لم يعرفوا مدلولها أو معانيها . ومنهم (لوناردو دافيتش) عبقري عصر النهضة وفي العصر الحديث نجد الفنان السويسري الأصل (بول كلي) قد استفاد من هذه الايقاعيات الزخرفية الاسلامية ، ونقل كثيرا منها .

وقد ذكر فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود (٣) في حديث له عندما تعرض للاسلام والعلم أن احد الكتاب الانجليز قد قرر في كتاب له بعنوان (بناء الانسانية) (أنه لم يكن العلم العربي وحده هو الذي اعاد الي اوروبا الحياة . بل ان مؤثرات اخرى كثيرة من الحضارة الاسلامية بعثت باكورة اشمنتها الي الحياة الاوربية) . . . وما من شك في أن المقصود بهذه المؤثرات

(١) حامد سعيد: فنان ومفكر وفيلسوف ومرآة ومنشئ مركز الفن والحياة في مصر له مؤلفات واعمال فنية متعددة يحاول جاهدا في يقين ثابت ان يعيد بناء الشخصية الفنية العربية من جديد .

(٢) جيمس هنري مورخ وكاتب امريكى : فجر الضمير ترجمة سليم حسن .

(٣) فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الازهر . في حديث له نشر بصحيفة الاهراء المصرية في (١-١٩٧٤) . (الاسلام والعلم) .

الآخري المؤثرات الفنية الخالدة في التراث الفنى الاسلامى . . التى امتلأت بالروحانيات والعبادات والتضرب الى الله وكلها تحدث تعادلا في سلوك الانسان .

ويتمتع الفن الاسلامى على ما يسمى بالتنوع في ظواهر الانتاج الفنى والاحتفاظ بالجوهر العام ووحدته ، فمثلا قد نشاهد مئذنة بايران او بالهند او بالمغرب الاسلامى او في مصر او في سوريا او في بغداد او في غيرها من العالم الاسلامى ، فلا نخطىء التعرف عليها كشكل من اشكال العمارة الاسلامية المميزة . وفي الوقت نفسه نرى تنوعا جزئيا في تفاصيلها . لان الجوهر الشكلي هو الاساس ، والوحدة هي الهدف . اما التنوع الجزئى فيشير الى الاقليم للحفاظ على شخصيته الفنية في اطار الفلسفة الكلية الشاملة ، وما يحدث في رؤيتنا للمئذنة يحدث تماما عندما نتعرض لاي انتاج فنى اسلامى آخر كالخزف واشغال الفسيفساء والمادن والسجاد والنسيج وغيرها .

وقد تعرض لذلك المؤرخ (ديماند) (١) عندما ذكر ان من تقاليد الحضارة الاسلامية تبادل الفنانين والصناع ونقلهم بين شتى بقاع العالم الاسلامى لبناء المساجد والجوامع والقصور وانتقال وغيرها ، حيث حققت هذه التقاليد فكرة التآلف والوحدة والاخاء وتطعيم الخبرات بعضها ببعض الاخر ، وحيث ظهرت الوحدة الفنية في الجوهر اخر الامر متماسكة تستمد روحها من الهام واحد مهما تباينت عناصرها وتنوعت اشكالها واختلفت تقنياتها ومهما بعدت الشقة بين مواقعها ، وقال ان هذا الفن العظيم الذى رضع فنى طفولته شتى الالبان وهام بين مختلف انواع الفنون والجمال قد استأثر باعجاب العالم الاوروبى وغدا بدوره الهاما ومصدرا لاقتباساته الفنيه . وقد ذكر المؤرخ في عدة مواقع من المؤلف السابق اثر هذا الفن على فنون الغرب الامر الذى جعل ملوكها يكتزون نفائس الفن الاسلامى ضمن مقتنياتهم .

وقد تعرض اثنا عشر باحثا ومتخصصا في مؤلفهم (٢) لالوان من ينابيع الحضارة الماثلة على الساحة العربية ودورها هي وشعوبها في الثقافة العالمية حياة وايماننا ، واقعا وخيالا ، وتعرض المؤلفون للعمارة الاسلامية وما تميزت به من خطوط عربية كانت لها اكثر من دلالة ومعنى ، فجانبا الناحيتين التصويرية والموضوعية كانت تنطق بشيء اخر هو الحس والجمال وشاعرية الحياة ، فلقد غطى الفنانون جدران قصر الحمراء تحت سماء اسبانيا بحكمة ، (لا غالب الا الله) واولئك الذين سطرُوا عبارة (بركة من الله) لم يكونوا بالقطع يقصدون فقط مجرد التكرار التقليدى في حد ذاته ، بل كان الهدف الأول هو الاصرار على الايمان وتأكيد ان الله خلق كل شيء وان لا شيء الا بارادته وذلك عن طريق الايحاء بتكرار الكلمات ، والكلمة والانسان متلازمان .

(١) ديماند : مرجع سابق .

(٢) عنوان الكتاب : عبقرية الحضارة العربية . تحدثت عنه صحيفة الاهرام المصرية (الثلاثاء ١٢-٦-٧٧م- ١٢-٦-١٣٩٧هـ) وأشارت الى ان الكتاب الف باللغة الانجليزية وقام بترجمته الى العربية صلاح جلال رئيس تحرير مجلة الشباب وعلوم المستقبل . وقد الفه اثنا عشر باحثا وعالما متخصصا ومن المهم الدكتور ابراهيم بيومى مذكور .

لقد نشأ الفن الاسلامى معتمدا على اسلوب التجريد والايماة والرمز سواء فسى الاشكال أو الخطوط أو الالوان أو الهندسيات المترابطة في تكتل ونغم أخاذ وكلها صيغت في قوالب فنية متكاملة تحمل صفات العمل الفنى الناجع مع تفهم للاصول التقنية المصاحبة لعمليات التشكيل والصيافة ، ولقد تعرض الناقد والفيلسوف الانجليزى (هربرت ريد) (١) لعناصر اى عمل فنى وحصيلته ، وتناول معطيات الفن الاسلامى وفحصها وتدوقها فوجدها قد اكدت هذه العناصر جميعها في وحدة وذاتية متكاملة .

ان الرمزية التى تجلت في كثير من المعطيات الفنية الاسلامية كرسوم النجوم والاهلة في تنوعات تشكيلية انما هى رمزية علوية وتطلع الى السماء ، وان التعاشيق الخشبية الدقيقة رمزية للانتصار على الشكل ، هى رمزية في التصميم ورمزية لحل مشكل فنى . وان الفنان الاسلامى يتعدى الرمز الى الرموز ، اما الفنون الوثنية فتقف عند الرمز (٢) ولا تتعداه .

انظر الى تعبير الفنان الاسلامى عن طائر (الديك) الذى عبر عنه كثيرا فسى معطياته الفنية المتعددة . وفيه تكمن الرمزية التى تصاحب هذا الطائر المرتبط صياحه بوقت الفجر وهو وقت محببة العبادة فيه وكان الديك في الوقت نفسه يعلن عن مولد يوم جديد يذكر المؤمنين به . وان هذا اليوم على اعمالهم لشهيد ، وهناك رمزية تبدو فسى صبر الفنان ودقته في عمله الفنى . وكان الفنان في ذلك الامر يرمز ويرشد الى أهمية (ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) .

وعلى هذا الدرب سار الفنان الاسلامى معبرا عن مخلوقات الله نباتا كانت أو حيوانا في تجريد تام بعيد عن تقليد الطبيعة ومحاكاتها . وكل هذه الكائنات التى ظهرت في الفنون الاسلامية من زهور وطيور وغزلان وأسود ونخيل وأهلة وأقمار واشكسال هندسية . . كل هذه قد لعبت دورها الاجتماعى في حياة الشعوب العربية ، وبذلك نجح الفن هنا في الارتباط بالمجتمع والعقيدة على السواء . ويؤكد ذلك حلمى المليجى (٣) عندما تعرض لما ينبغى أن يكون عليه العمل الفنى المبتكر من اسس وشروط ، وقد أكد افلاطون (٤) من قبل ان وظيفة الفن اجتماعية واعترف بقيمته التربوية والتثقيفية وبمساهمته في تكوين المواطن وربط افراد المجتمع بعضهم ببعض الاخر . . والفاحص المتأمل المدقق للفن الاسلامى يرى تأكيده لكل هذه الوظائف .

ان الفن الاسلامى لم يلجأ الى التفرقة الساذجة في الفن التى ابتدعها عصر النهضة في اوربا والتي كانت تميز بين ما هو فن جميل ، وبين ما هو تطبيقى نفعى ، الامر الذى لفظته الفلسفة المعاصرة في تذوق العمل الفنى فالفن وحدة والعمل الفنى ايا كانت

(١) (هربرت ريد) في كتابه معنى الفن وقد ترجم الى اللغة العربية .

(٢) حامد سعيد ، مرجع سابق

(٣) حلمى المليجى ، سيكولوجية الابتكار

(٤) افلاطون ، القوانين .

خامته هو صياغة وتشكيل وابتكار ، فالاناء الخزفي والقنديل الزجاجي أو السجادة أو المنبر الخشبي المطعم أو الأثريات النحاسية والمعدنية أو غيرها من معطيات الفن الاسلامي انوفيرة كلها اعمال فنية لاشتمالها على الاسس والقواعد والاصول الموضوعية لأي عمل فني ناجح .

لقد نادى (ديوي) (١) بفكرة تداخل الفنون الجميلة والتطبيقية الفنية وبانه لا ينبغي أن ينفصل الفن عن الصناعة . وقد سبق الي هذا الرأي الفن الاسلامي من اثني عشر قرنا من الزمان ، وما كانت الحضارات الفنية القديمة الاثورية والبابلية والمصرية والصينية وغيرها تفرق في الفن بين الفن الجميل والفن النفعي .

لقد كان الفنانون المسلمون عباقة ومبتكرين ومكتشفين للكثير من القيم الفنية والاصول التقنية . ونذكر كشافين اثنين فقط لهذه الطاقة المبدعة :

الكشف الاول هو البريق المعدني الخزفي (٢) الذي اكتشفه الخزافون المسلمون وكان اول كشف فني من نوعه في ايسة حضارة فينيسية ، فلم تكتشف الحضارات القديمة كالمصرية والاشورية والبابلية او اليونانية او الصينية او غيرها هذا الكشف الابداعي . ولقد توصل الخزافون المسلمون لهذا الكشف بعد تجارب مضنية وعمليات كيميائية معقدة وطرق تقنية متتالية حتى يتعدوا عن التحريم ويتجنبوا استخدام الالوان الذهبية . فهنا الاناء من الفخار والصلصال وعليه البريق المعدني المبتكر .

والكشف الثاني فن النسيج الاسلامي ، ذلك أن الفنانين المسلمين ابتكروا نوعا من المنسوجات رائع التصميم مذهلا في دقة وخفة خامته ، ولقد قال المؤرخ ديمانده (٣) انه يعبر عن حيوية هذا الفن وعظمته في المنسوجات الكتانية والحريريسية ، وخصوصا في العصر الفاطمي حيث تميز بالرقعة الفائقة في تلك الانسجة . تلك الرقعة التي اعجب بها الرحالة أيضا اعجاب ، وبلغت حدا قيل انه كان يمكن معه سحب عباءة او ثوب كامل من هذه المنسوجات من خلال حلقة خاتم الاصبع . فضلا عن ابتكارهم تطعيم الخيوط الذهبية ضمن بعض المنسوجات .

ولا غرو ، فكتب التاريخ تحدثنا عن (دور الطراز الاسلامي) وهي تشبه مصانع النسيج في الوقت الحالي ولقد انتشرت آنذاك لمواجهة متطلبات الحضارة اسلامية وحاجة

-
- (١) جون ديوي ، الفن والحبرة ترجمة زكريا ابراهيم ، مراجعة زكي حبيب محمود .
 - (٢) طريقة مبتكرة بواسطة الفاسين العراقيين المسلمين للحصول على طلاات براقه تعطى اثر الذهب والفضة وغيرها من المعادن دون ان يكون الاناء نفسه من الذهب أو الفضة ويجمع المؤرخون على أن ذلك ابتكار اسلامي فني وان كانوا يختلفون فيما بينهم حول من هم الفنانون المسلمون الذين ابتكروه هل هم العراقيون المسلمون في سوريا او في مصر أو في العراق أو ايران أو المغرب .
 - (٣) ديمانده ، مرجع سابق .

الحكام المسلمين لان يظهرها في ثياب فاخرة محلاة بالزخارف والالوان . وتوفير ما كان يمنحه هؤلاء الحكام للعاملين في الدولة من هذه المنسوجات التي كانت بمثابة (اوسمة ونياشين) وكان يكتب اسم الخليفة فيها على شريط خاص .

ومن ذخائر التراث الفني الاسلامي تلك المخططات المصورة التوضيحية للمعبد من الكتب سواء اكانت كتباً علمية ، أم تاريخية ، أم ادبية شعرية ، خيالية ، أم دينية ، أم قصصية أم غيرها وقد وضع الفنانون لقطات من هذه الكتب برسوم والوان مميزة وبالخطوط الخاصة الفريد وطريقة اخراجهم الدقيقة الشعرية ومثاليتهم في التكوين ، والتلوين وموضوع الكتابة من الرسوم والانغام والايقاع في مسطحات الصورة ، ولم يلتزموا بالحساب والاسس القربية الرياضية في المنظور أو التشريح أو غيرها ، ذلك بأن لهم شخصيتهم الفنية بكل ما تتميز به من اصول واسس فنية خاصة ، فالفنان المسلم عبر احياناً عن مواقف متعددة في ازمان متلاحقة . وجمع احياناً بين الليل والنهار وزاوج بين الطير والنبات ، والحيوان والانسان ، والكتابات ، وكلها في منظر واحد يجمع هذا الشتات المتنوع في وحدة فنية متكاملة وفي نغم وايقاع موسيقى جذاب يشد المتذوق له شدا الى اللانهائية والى اللامحدود والى الخالق المبدع الذي خلق كل هذا الكون ، وكانت هذه العلاقة الروحية الدينية وراء فكر الفنان عند صياغته لعمله الفني .

ولقد زودتنا كتب التاريخ والمعالم الاثرية والانتاج الفني نفسه بأسماء بعض هؤلاء الفنانين المسلمين العظماء ، تقديراً لاعمالهم وتسجيلاً لتاريخهم . ومنهم ، غيبي ، والشامي ، والمعجمي والمصري ، والهرمزي وسعد وسلم والمهندس المسلم الذي شيّد وصمم وهندس جامع السلطان حسن بالقاهرة وهو (محمد بن بليك المحسني) الذي ترك توقيعه على أحد ايوانات الجامع المذكور .

ان المقياس الذهني الذي تعامل به الغربيون وحده في تحليلهم للعمل الفني وخواصه ، والذي اخذوه عن اليونان وطبقوه في عصر النهضة لا ينطبق على الفنون الشرقية بعامة ولا على الفن الاسلامي بخاصة ، حيث التمس الفنان المسلم لنفسه قوانينه الخاصة فسي صياغته وحكمه على العمل الفني معتمداً على طريقة الحس والوجدان والايان والتأمل بجانب المقياس الذهني السابق ايضاً وهي طريقة جهلها الغرب ، ولا زال يجهلها .

ولقد كان العالم النفسي الكبير (يونج) على حق عندما قال في احد كتبه ان الاشياء لا تدرك بالمقل والذهن وحدهما ، ولكن هناك طريق آخر هو طريق الوجدان والاحاسيس والبصيرة ولا يمكن تجاهل الخبرة الدينية في هذا المجال ، وقال عن الذين يعالجهم ، لو كان عندهم وعي ديني لمجل ذلك بالشفاء لهم ، وفي كتاب اخر له يقتول حين تعرض للمعرفة والايان : ان الفن العظيم يستمد خصبه من اللاشعور والرمز . وراى أهمية التجربة والخبرة الدينية في ذلك . ولقد أكد (رينيه ويچ) (١) عندما تعرض

(١) رينيه ويچ . محاضراته في مصر في نوفمبر سنة ١٩٦٢م وهو استاذ سيكولوجية الفن في الكوليج دي فرانس ، عضو الاكاديمية الفرنسية .

لنقد الفن في هذا القرن انه انصب على الشكل فقط . متجاهلا ما ينبغي أن ينطوى عليه الفن من مضمون انساني وهو لغة الروح . واذا كان الذهن له لفته الخاصة فان للفن لغته النفسية الشاعرة الكامنة في أعماقنا .

والفن الاسلامي لم يهمل التجربة الدينية في جميع أعماله ، بل ربما كانت هي الهدف والجوهر الكامن والمستتر وراء معطياته الفنية المتعددة .

ولقد كان العالم والفيلسوف المسلم الغزالي أسبق من (يونج) وغيره ، حين قال ان المعرفة تتم عن طريق القلب . يصدق ذلك ايضا على (ابن عربي) عندما ذكر بدوره أن ادراك الوجود لا بد له من صفاء القلوب لتدركه .

من هنا سار الفن الاسلامي بفلسفته ، وخط لنفسه منهجه الخاص عن طريق فنونه ليجذب الانسان اليه بفكره وضميره ووجدانه وتأملاته للارتباط بالمقدس . وطريقته في التأمل والتدرج في عمليات صعود وارتقاء تتم على مراحل .

وقد اكدت ذلك الدكتورة (ايفادى فيترى) (١) حيث قالت ان الارتقاء موجود عند الصوفية المسلمين ، الذين يعبرون عنه بالسلم أو المرقاه أو المعراج الذي يرفع الانسان درجات الي عالم صاف خال من الاخطاء والاحطار ، وان في المثانة الاسلامية كشكل معماری عطاء للرأى واحساسا بالصعود الي العلا والى السماء والصفاء اللامحدود .

ويقول الاستاذ حامد سعيد (٢) ان التصوف عنصر أساسى فى الفن الاسلامى حيث يستنهض فى النفس السر الخفى ويركب فيها معادلات ووعيا بالخلفية الروحية للوجود تلك التى تضيء الآن عن الفكر والوعى المعاصر ، والفن الاسلامى يهدى المتذوق الى استقبال الفيض الربانى وينقل الى البصر ما يراه الفرد بالبصيرة . وهو كذلك ايماءة وإشارة واعداد وتنبيه للوعى وتحريك له نحو مثل عليا ، وهو فن جماعى تندمج فيه جميع الفنون . ولا عجب فلقد كانت وراء هذه الكنوز والانجازات الضخمة فى عالم الفن قلوب شفافه نابضة بالحياة يدفمها وجدان واحساس بالجمال والتصوف فى وقت واحد ، ولقد صدق عالمنا وفيلسوفنا الاسلامى (الغزالي) عندما تعرض لجمال فن الخط الاسلامى وتشكيلاته الرائعة اذ قال :

(ان الانسان ليمجب من خط القلم على الورق ، ثم ليمجب للقلم نفسه الذى يخط الخط ثم ينمو الاعجاب ليصل الى يد الفنان التى أمسكت بالقلم وحولته لعمل أشكال فنية جمالية) .

(١) (ايفادى فيترى) استاذة بالسوربون ، وقد عملت استاذة زائرة فى جامعة الازهر الشريف بالقاهرة منذ حوالى اربع سنوات تقريبا ، والقت عدة احاديث فى مركز الفن والحياة بقصر الناسترلى بالروضة بالقاهرة وكذلك بعض محاضرات فى جمعية علم النفس المصرية .

(٢) حامد سعيد ، مرجع سابق محاضراته واحاديثه فى مركز الفن والحياة والمتحف الاسلامى والمساجد الاثرية فى القاهرة .

ان دراسة وتذوق الفن الاسلامى دراسة موضوعية نقدية تذوقية واعية من شأنها أن تساعد في مجال التربية الفنية بخاصة وتكوين المجتمع الاسلامى الذواق بعامة ٠٠ وان التربية عن طريق الفن هدف أساسى لفلسفة التربية الفنية ، وتراث الفن الاسلامى اعظم زادا واكثر عطاء لتكامل هذه التربية ٠٠ وان الصور المرافقة للبحث هى نوعية محدودة تؤكد سموخ هذا الفن وعظمته وعمق فلسفته ٠٠٠

ولا يسنى الا أن اختتم هذا البحث المركز بتسجيل عميق العرفان والثناء والتقدير للكلمة الكريمة السامية العميقة الهادفة ، (وهى خير ما يختتم به البحث) والتي سجلها صاحب السمو الملكى الامير فهد بن سلطان بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب بالنيابة ، عندما زار سموه معرض روائع الفن الاسلامى بالمملكة في صفر ١٣٩٧ هـ اذ قال سموه :

(ان حبنا العميق وتقديرنا لكل فكر اسلامى نابع من عقيدتنا وايماننا ، وهو الذى يجعلنا ننظر بكل اجلال الى تراثنا الاسلامى الخالد وخاصة الفنون الاسلامية التى أسهمت في تشييد الحضارة الاسلامية الكبرى التى نعمل جاهدين لازدهارها مرة اخرى)

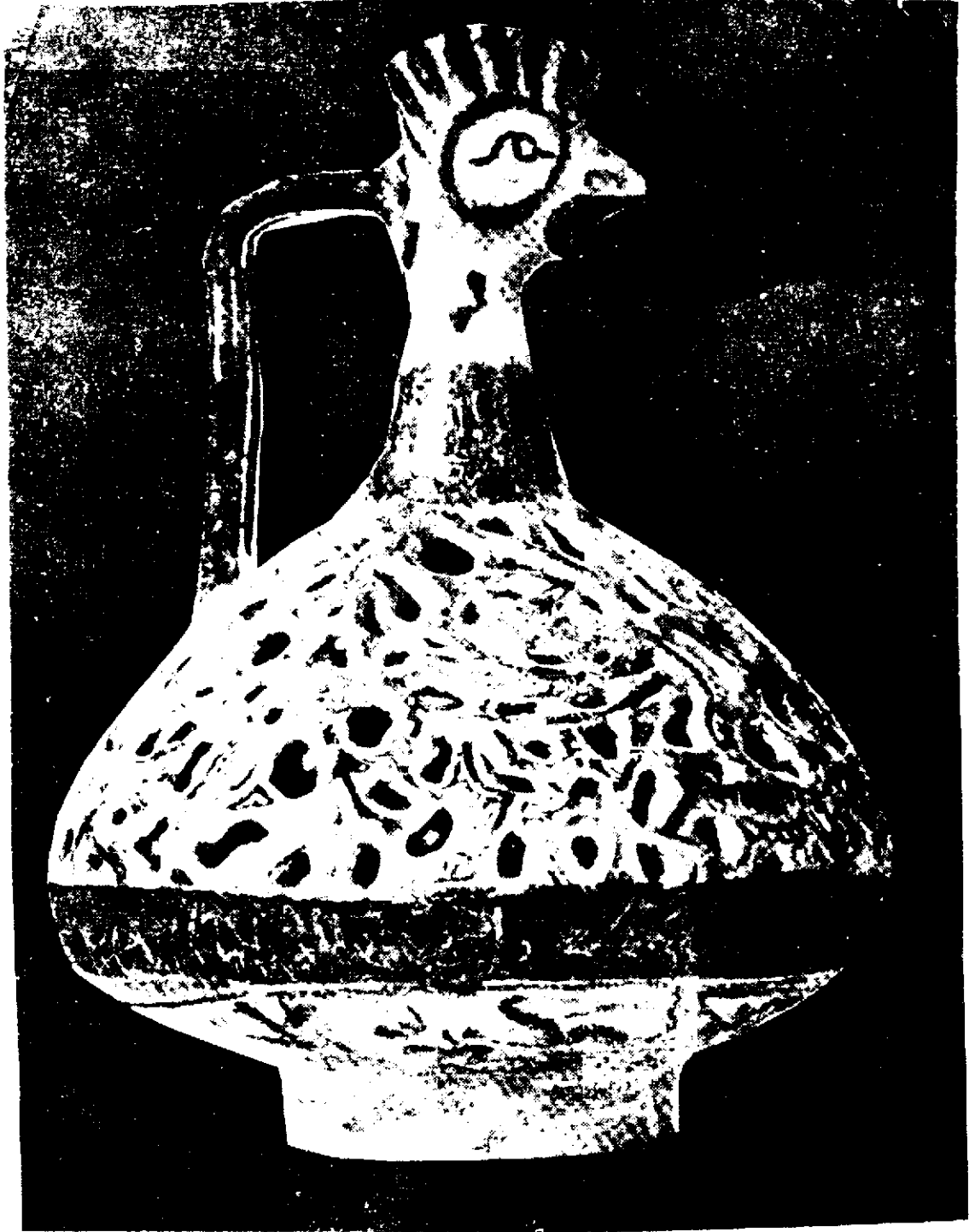
ولما كنا نرى أن الفنان السعودى يحاول جاهداً المساهمة الفعالة في بناء حضارة بلادنا العظيمة بالتجارب الجادة في الفنون التشكيلية المتعددة واساليبها المختلفة ، ولما كانت هذه الاساليب بعضها يتجه نحو الالتزام بمحاكاة الطبيعة والبعض الاخر يتجه نحو التحلل منها ٠٠ لذا رأينا أن نضع أمام الفنان السعودى بعضاً من التراث الفنى الاسلامى، لا لكى يلتزم بتقليده ، ولكن ليحدد طريقه الفنى بالوقوف الى تراثه ، عن وعى بالاتجاهات الفنية العالمية ، بحيث تنبع فنوننا من ضميرنا الانسانى الواعى بذاته المؤمن بدينه وعقيدته ايماناً يحميه من أضرار الالتزام وأخطار التحلل حتى يستطيع الفنان السعودى أن يواصل طريق الابداع في الاتجاه الفنى الصحيح ٠٠٠

والله ولى التوفيق ...

(١) معرض روائع الفن الاسلامى - المملكة العربية السعودية - الرئاسة العامة لرعاية الشباب
٢٤ صفر ١٣٩٧ هـ - كتالوج ٠

مراجع البحث

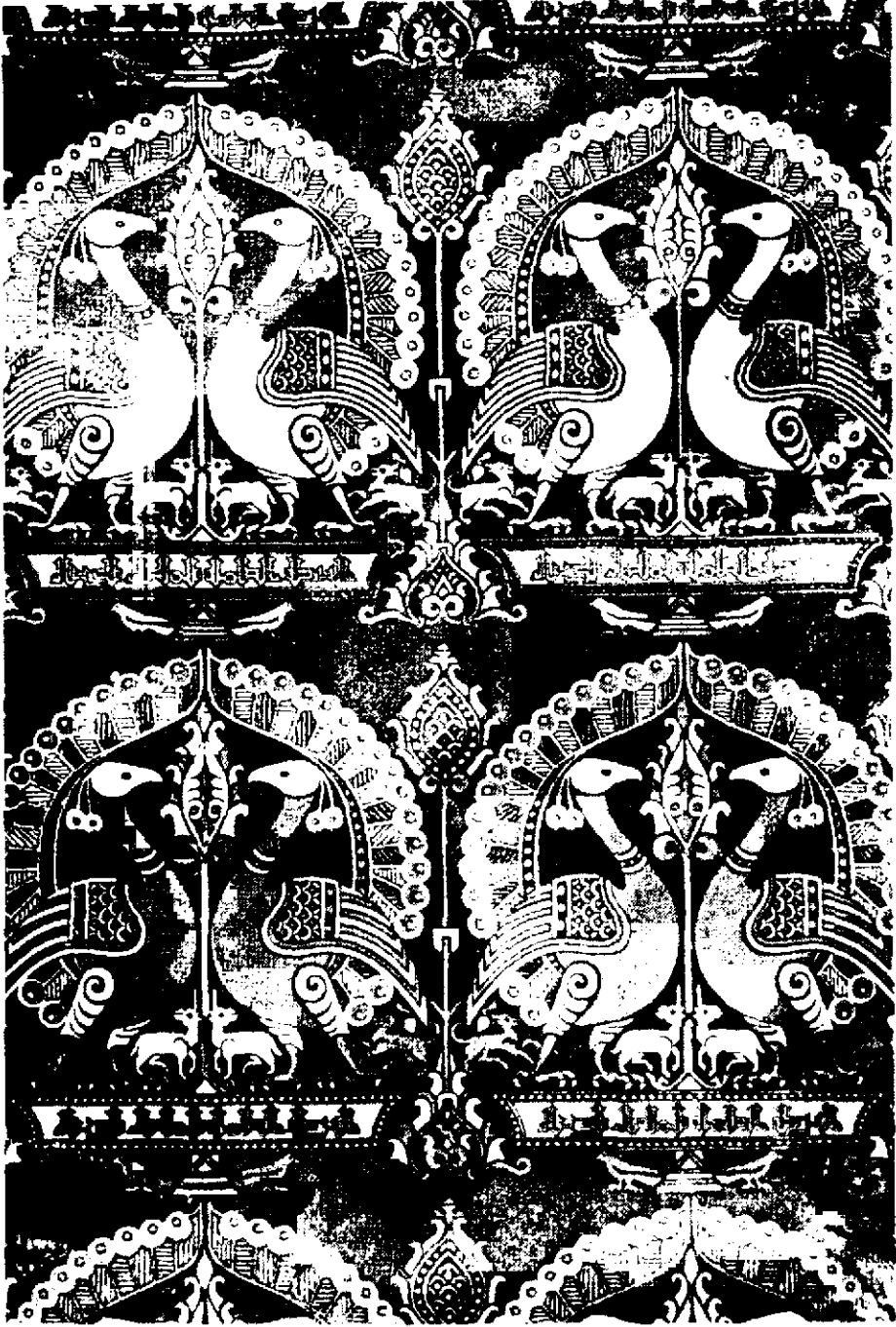
- (١) أفلاطون
- (٢) برستد ، هنرى
- (٣) بيومى مذكور
- (٤) جارودى ، روجيه
- (٥) حامد سميد
- (٦) حلمى المليجى
- (٧) دى فيترى ، ايفا
- (٨) ديماندا ، م . س
- (٩) ديوى ، جون
- (١٠) ريد ، هربرت
- (١١) عبد الحليم محمود
- (١٢) ويج ، رينيه
- (١٣) يونج
- (١٤) المؤسسة العامة لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية : كتالوج معرض روائع الفن الاسلامى صفر ١٣٩٧ هـ .
- القوانين
- فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن
- عبقرية الحضارة العربية ترجمة صلاح جلال
- محاضراته بالقاهرة عن الحضارة العربية واثرها على التقاليد العالمية ١٩٦٩ م .
- محاضراته في مركز الفن والحياة والمساجد والمتاحف الاثرية في مصر .
- سيكولوجية الابتكار .
- محاضراتها في مركز الفن والحياة والجمعية المصرية لعلم النفس
- الفنون الاسلامية ترجمة احمد محمد عيسى دار المعارف ١٩٥٤ م .
- الفن والخبرة، ترجمة زكريا ابراهيم مراجعة زكى نجيب محمود
- معنى الفن ترجم للمربية .
- مقال في صحيفة الاهرام ١٠-١-١٩٧٤م عن الاسلام والعلم .
- محاضراته في مصر نوفمبر ١٩٦٣ م .
- سر الزهرة الذهبية .



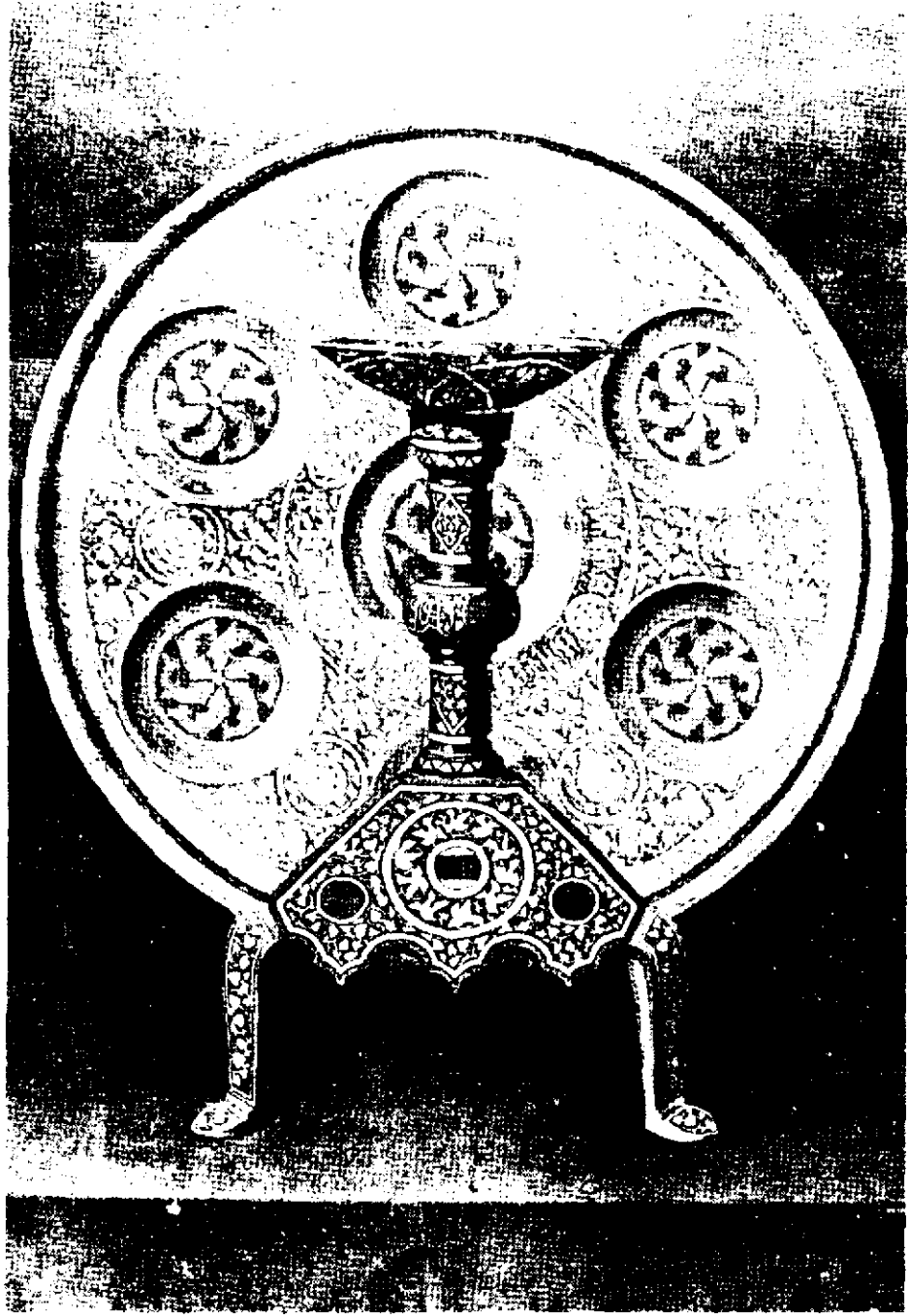
ابريق مز: الخزف الاسلامى يحمل رمزية في الفوهة على هيئة (الديك) واتزان في اليد والرقبة بالنسبة للجسم الذى شكل بعيقرية لم تحدث قبل الفن الاسلامى حيث شكل الجسم من طبقتين (الداخلية مسطرة والخارجية مفرغة الزخارف ، وتشكل الكتابات جزءا هاما في جسم الاناء) : القرن ١٢ هـ ١٢م



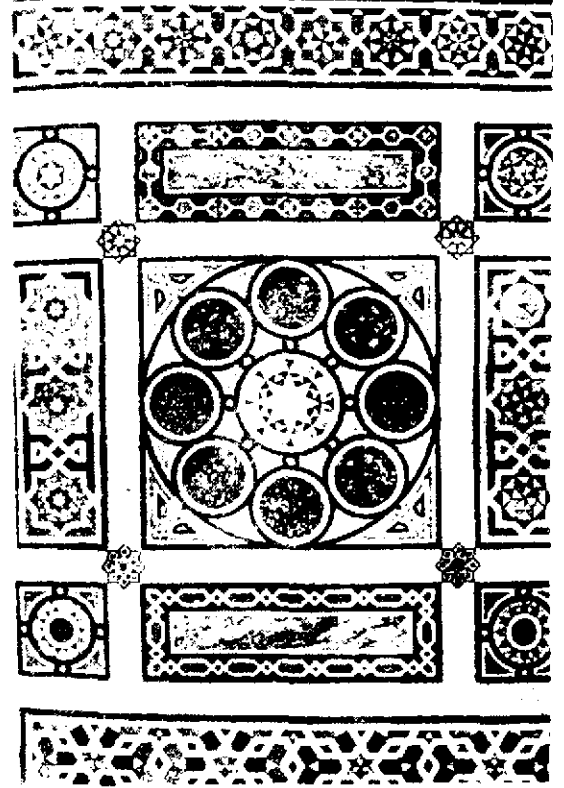
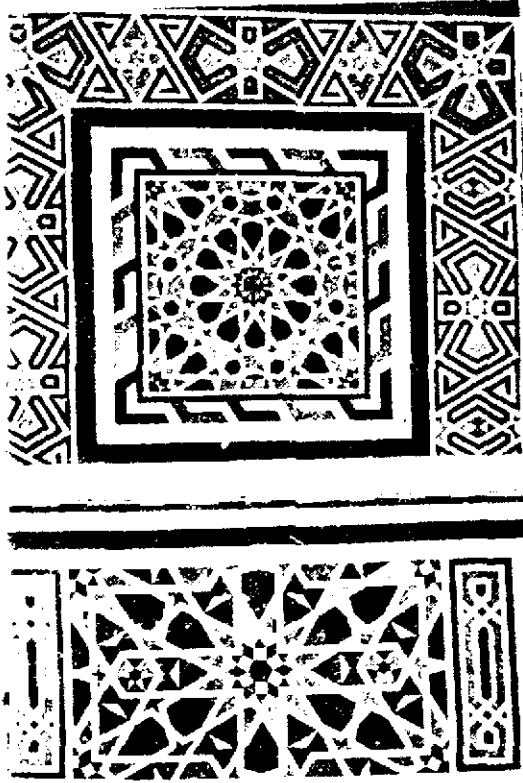
(مشكاة من الزجاج الاسلامى) تكامل في التصميم سواء في الخطوط الخارجية او
الزخارف والايدي ، مع تفهم كامل للتشكيل الزجاجي ، وتشكل الكتابات الدينية مكانها
الدقيق على رقبة الاناء القرن ٨ هـ ١٤ م جامع السلطان برفوق مصر .



قطعة نسيج من الحرير من الفن الاسلامي تؤكد التسطيح والتجريد للطير والحيوان والنبات ، مع وجود الزخارف في كل مكان وتنوع في اللون والكتابة ، والتصميم مرتبطة اجزائه بعضها ببعض الاخر مع الاتزان بين الشكل والارضية القرن ٨ هـ ١٤ م



معدان وصينية لحمل القليل من الفن الاسلامي • الزخارف تملأ كل المساحات
وعلا لرغم من ذلك يحس المتذوق ببعض الوقفات نتيجة تغيير نظم الزخرف وتنوعه •
القرن ١٤ هـ م



زخارف اسلامية بواسطة قطع الرخام الطبيعي بالوانه المختلفة وكسراته الدقيقة التي يكون منها الفنان هذه التكوينات في سطوح غنية من الالوان والهندسيات التي يتشكك عن طريقها العديد من النجوم حيث تبدو الرمزية والتكامل في التصميم . القرن ١٠ هـ ١٦



(مآذن وقباب من العمارة الاسلامية) ان المثذنة تسحب الرأسي لها الى صعود مستمر للسماء الى اللامحدود حيث تصغر اجزاؤها كلما تصعد في السماء وبذلك تعطى بعدا وامتدادا مستمرين . اكد الفنان المسلم على هندسة البناء واتزانه ودقة الاخراج سواء في الاشكال أو الزخارف المنتشرة في كل مكان بما فيها المقرنصات وهي احسدى اكتشافات الفنانين المسلمين المماريين . وكذلك تشكل الكتابات العربية بعض اجزاء البناء ، وبين الرأسيات في المآذن والمنحنيات في القباب يحدث ما نسميه في الفن التشكيلي المزاوجة بين الاستقامة والانحناء في توافق متكامل رصين . القرن ١٠هـ ١٦م .